مجلة الرائد

العدد : ٢٣١ الموافق في شعبان ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/١١ ميلادي

عنوان المقال : أفغانستان.. الظاهرة الاستعمارية تتجدد	الكاتب : صلاح الدين بن إبراهيم

عرفت البشرية الظاهرة الاستعمارية مع ظهور القوة الأوروبية على المسرح الدولي ، واكتشف الناس في البلاد المتخلفة المستعمرة النوايا السلبية والنهبية للمستعمرين الأوروبيين الذين أتقنوا فنَّ تزييف الحقائق والتلاعب بالمصطلحات الجميلة ، ومنها مصطلح " **الاستعمار** " الذي بات يعني في حس الأحرار " **الاستخراب** " .

وارتفع صوت أصحاب البلاد المستعمرَة منددا بالمستعمرين ، وتنادوا إلى الذود عن بلادهم وكرامتهم وثرواتهم ؛ فهبت الثورات ، وارتفعت شعارات التحرر وحق تقرير المصير .. إلخ .

وظن الناس في البلاد التي رحلت عنها الجيوش الأوروبية أنهم أصبحوا أحراراً في أوطانهم ، وأنهم قادرون على النهوض من تخلفهم ، ولكن سرعان ما أيقنوا أن الدول الاستعمارية قد رتبت أوضاعاً سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية تجعل بلادهم تابعاً ذليلاً لدول الاستعمار ، ومخزناً للمواد الأولية التي تأخذها بأبخس الأثمان ، وسوقاً لمصنوعاتها ، واستقر في لا وعيهم أن دول الغرب الاستعمارية تسهر على استمرار التخلف والضعف .. وهل هناك تبعية أوضح من شعور كثير من الدول أن مصالحها تلزمها بالانضمام إلى منظمة ترتبط بالدول الاستعمارية مثل " منظمة الكومنولث " المرتبطة ببريطانيا ، و " الرابطة الفرانكفونية " السائرة في ركاب فرنسا ؟! .

ودار الزمان دورته .. فحلَّت بالدول الأوروبية الاستعمارية سنةُ الضعف بعد قوة ، وحجَّمت الحرب العالمية الثانية دولاً عظمى مثل بريطانيا وفرنسا ، وحلت محلها القوة الناهضة " أمريكا " التي مارست سلطاناً قاهراً من خلال العلاقات السياسية والاقتصادية ، بل إن الدول الأوروبية نفسها لم تسلم من هيمنة أمريكا ، والتي فرضت عليهم نوعاً من التبعية عبر حلف شمال الأطلسي " الناتو " .

عنوان المقال : أفغانستان.. الظاهرة الاستعمارية تتجدد	الكاتب : صلاح الدين بن إبراهيم

وبانهيار الاتحاد السوفيتي - الذي كان متوقعاً - سارعت أمريكا إلى إعادة النظر في علاقاتها الدولية ، لكي تكبح جماح المناوئين لها والراغبين في منافستها ، فرأت أن مصالحها تستدعي وجود قواتها في مواطن حساسة من العالم ، ولكن كيف تحقق ذلك ؟ فوجدت أنه لا مفر من الاعتماد على تعليلات تبرر ذلك الوجود ، وكان قرارها في تأزيم منطقة الخليج المفتاح الذي فتح لها الأبواب لتسرح وتمرح في مياه المنطقة تحت عنوان " تأمين تدفق النفط الكويتي وغيره إلى الأسواق العالمية " . وحين احتل العراق الكويت وجدت أمريكا فرصتها الذهبية فانقضّت على المنطقة باسم الشرعية الدولية - وهذا ما كانت تفعله بريطانيا وفرنسا من قبل - واستقرت القوات الأمريكية في دول الخليج باسم القوات الصديقة ، وباشرت ببناء مدن عسكرية في عدد من المواقع ، وأيقن كثير من الناس أن الاستعمار المباشر قد عاد من جديد !! .

ولم تصغ دوائر القرار الأمريكي إلى نصائح أهل الخبرة الذي قالوا بوضوح : إن استمرار وجود القوات الأمريكية في الخليج سيستفز قطاعاً واسعاً من المسلمين داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ولن يقبل المسلمون بتبريرات الإدارة الأمريكية من أن وجودها مشروع ، لأنه تم ويستمر بطلب من الحكومات الشرعية ، لأن الشارع العربي والمسلم يوقن أن حكومات المنطقة عاجزة عن إبداء الرغبة في رحيل القوات الأمريكية التي تسهر على تأزيم العلاقات في منطقة الخليج ! .

ولا يخفى حتى على البسطاء من الناس أن أمريكا قد وضعت يدها على ثروات الخليج النفطية ، وعن طريق هذه الهيمنة تمارس نفوذاً عالمياً ، ولا يجهل إلا الأغبياء أن للوجود الأمريكي آثاراً فكرية واقتصادية وسلوكية ، وأن هذه الآثار تتناقض مع عقيدة وشريعة ومصالح واستقلال أهل الجزيرة العربية ، وهي تزحف ببطء وتصميم لتنال من هوية المنطقة التي تمثل قلب العالم الإسلامي ، وهذا الذي يزلزل الغيورين ويدفعهم إلى ألوان من التصدي للظاهرة الاستعمارية .

ماذا صنعت أمريكا بالمنطقة :

إذا ألقينا نظرة سريعة على العراق فقط فإننا نصاب بالدوار من هول المآسي الإنسانية والدمار الفظيع !! ؛ فأمريكا تصر على استمرار وإحكام الحصار على الشعب العراقي ، وتشن على العراق حرباً تدميرية مستمرة منذ أكثر من عشر سنوات ، وكانت نتائج الحصار الأمريكي (الحضاري !! والإنساني !!) رهيبة بكل المقاييس ، وقد حركت قسوة وجبروت الحصار الرحمة والعواطف النبيلة في القلوب ، ونظمت هيئات وشخصيات عالمية وإقليمية رحلات المعونات الرمزية المعبرة عن التضامن مع الشعب العراقي والداعية إلى إنهاء الحصار الجائر ، واستقال أكثر من مسؤول أممي احتجاجاً على وحشية ما تقوم به أمريكا التي لم تطرف لها عين وهي تسمع وتقرأ التقارير تلو التقارير عن وفاة الأبرياء .. وذهبت استغاثات المؤسسات الإنسانية « **أغيثوا أطفال العراق** » أدراج الرياح!

يا إلهي ! أكبر من مليون طفل عراقي قضوا نحبهم بسبب الشرعية الأمريكية - البريطانية .. فأين إنسانية الإنسان وحقوق الإنسان ؟

وإذا دققنا النظر في الدور الأمريكي على مستوى " الأكراد " لرأينا عجباً .. وإذا تحدثنا عن المخاوف التي يثيرها الوجود الأمريكي في المنطقة وآثاره لطال بنا الحديث .. فهل يعجب صناع القرار الأمريكي عندما يواجههم المسلمون بالكراهية ويتمنون لقوتهم الباغية أن تزول ؟

وماذا يريد الأمريكان من أفغانستان ؟!

النوايا المعلنة تركّز على شعار " محاربة الإرهاب ومن يدعمه " وما تعلنه الإدارة الأمريكية لا ينطلي على العارفين بنواياها " الاستراتيجية " التي استغلت التفجيرات المروعة في نيويورك وواشنطن لكي تنطلق إلى تحقيق أهداف تداعب مخيلتها منذ أمد ، وتحاول - طبعاً - أن تغلفها بأهداف جديدة ، وأبرز ما ترمي إليه الحرب الأمريكية ظاهراً وباطناً تتلخص في :

١- امتصاص الغضب الشعبي داخل أمريكا .

٢- رد الاعتبار إلى الهيبة الأمريكية التي تستند إليها أمريكا في إخضاع الدول .

٣- توفير وجود مباشر وقوي في منطقة توحي " الدراسات الاستراتيجية " بأنها ستكون مصدراً هاماً للطاقة النفطية والغازية في قابل الأيام ، وتخشى أمريكا - والشركات العملاقة - من هيمنة قوى مناوئة لها كالصين وروسيا على هذه الثروة الهائلة ، مما ينذر بتقليص النفوذ الأمريكي عالمياً .

٤- توجيه ضربات نفسية وعسكرية للتيارات والتنظيمات الداعية إلى التحرر من الهيمنة الاستعمارية في المنطقة باسم " محاربة الإرهاب " .

ولا شك في أن الذي تسعى إليه أمريكا لن يكون سهل المنال في منطقة تتشابك فيها المصالح وتتناقض ، وتتوفر على قوى عالمية وإقليمية ومحلية ذات شأن ، ولن تستسلم هذه القوى للمخططات الأمريكية بسهولة مثلما حصل في الخليج ، وإن سكوت قوى المنطقة عن الحرب التدميرية الموجهة إلى أفغانستان يحمل أكثر من معنى " استراتيجي " و " تكتيكي " كما يقول العارفون .. ولعل أبعدها عن التصديق القول بأن تلك القوى متضامنة مع أمريكا !.

وكما كان وجود القوات الأمريكية في منطقة الخليج سبباً في الآلام والأحزان والأحقاد .. فإن وجودها في أفغانستان وما حولها سيكون أكثر إيلاماً وأعتى أحقاداً ، وقد تفوح منه - وعلى امتداد الأرض - روائح الدماء والأشلاء والدمار .

والذي نقوله هنا يردده آلاف المحللين والعارفين بالعالم والعصر ، وهو ليس مجهولاً لدى صناع القرار الأمريكي ، ونأمل أن يعيدوا النظر في كيفية تحقيق مصالحهم الآنية ، وأن يتدبروا الأمر قبل فوات الأوان ، وأن يكفوا عن ضخ مزيد من الآلام والأحزان في أوصال البشرية .

أمريكا .. ومناهضة العنصرية في دوربان !

شاركت أمريكا - كما هو معروف - بوفد متواضع في مؤتمر مناهضة العنصرية الذي نظمته الأمم المتحدة قبل شهرين في مدينة دوربان بجنوب أفريقيا ، ومارست الحكومة الأمريكية ضغوطاً هائلة للتأثير على جدول أعمال المؤتمر قبل انعقاده ، وحين أحست داخل المؤتمر أن مواقف الوفود الرسمية لا تختلف في جوهرها عن موقف إدانة أكثر من ٥٠٠ منظمة غير حكومية جاءت من ١٥٠ بلداً ، وملخصها : **إن الدول الاستعمارية ، والرأسمالية ، و " إسرائيل " قد مارست العنصرية بأبشع**

عنوان المقال : أفغانستان.. الظاهرة الاستعمارية تتجدد	الكاتب : صلاح الدين بن إبراهيم

صورها .

عندئذ قررت أمريكا و " إسرائيل " الانسحاب من المؤتمر ، وتولت الدول الأوروبية مسؤولية تخفيف اللهجة ، وهددت بالانسحاب إذا لم تتراجع الوفود عن إدانة ممارسات " إسرائيل " بالعنصرية ، وعن المطالبة بالتعويضات المالية ورد الاعتبار .

ولئن أفلحت ضغوط أوروبا في تعديل صيغة البيان الختامي ، فإن العالم أجمع قد سمع الصوت الحقيقي للوفود الحكومية والشعبية ، وعذر الوفود الرسمية فيما ذهبت إليه من تعديلات بيانية ، نظراً لكون بلدانها لا تقوى على مواجهة العقوبات الأمريكية الأوروبية !!

وتوهم كثيرون أن أمريكا قد انسحبت تضامناً مع ربيبتها " إسرائيل " والحق هو أن المؤتمر - بشقيه : الرسمي والشعبي - قد أدان أمريكا بأبشع الممارسات العنصرية والتصفيات الجسدية بحق الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين ، وضد الأفارقة الذين انتُزعوا من أهلهم وبلادهم وسيقوا إلى أمريكا في أقفاص كالحيوانات ، وقد مات منهم الملايين في الطريق وأثناء العمل الشاق ، وما تزال ذراريهم إلى اليوم تعيش فقراً وبؤساً وجهلاً !! ، يضاف إلى ذلك أن سرقة أبناء أفريقيا قد أثَّر على القارة جميعها ، ثم جاء الاستعمار الأوروبي فعاث فيها نهباً وفساداً ، وها هي التدخلات السافرة والخفية تأتي على البقية الباقية .. سكتت أمريكا عن الاتهامات على مضض ، ولكن حين ارتفعت الأصوات مطالبة بدفع تعويضات مجزية انسحب الوفد الأمريكي مزمجراً !!

وبعد : فما ذكرناه غيضٌ من فيض من الممارسات الأمريكية التي تحمل روحاً استعمارية ، استكبارية ، استغلالية ، نهبية ، قمعية ، إرهابية .. ليعطي الدليل القاطع على أن أمريكا هي التي بعثت وجددت الظاهرة الاستعمارية المباشرة ، وهي التي ترعى وتدافع وتدعم بلا حدود ربيبتها الاستعمارية " إسرائيل " وأن هذه السياسة الاستعمارية ستثير على أمريكا الشعوب التي تعاني من قهرها وتسلطها واستغلالها ، وستبدأ مرحلة جديدة تتسم بمواجهة الاستعمار وبالعمل على تحرير الشعوب ، وبالسعي إلى تصفية وجوده .. تماماً كما حصل مع القوى الاستعمارية في القرنين المنصرمين .. فهل تفقه أمريكا الدرس وتوفر عليها وعلى البشرية الآلام والأحزان والأحقاد والدمار؟!